جاجارين !!.

للأستاذ محمود شلبي

وأخيراً ... حقق الإنسان أكبر نصر فى تاريخه منذ خلق الله آدم وحواء ... واستطاع « جاجارين » أن يجرى فى الفضاء ، جريان السمك فى الماء ، فى سهولة ، وفى غير عناء .

فما هى العبرة من ذلك العمل المعجز العظيم ؟ .

العبرة أن الإنسان إذا ارتفع عن شهواته ، وأطلق عقله يعمل ويبدع ، جاء بالعجب العجاب .

وأن العقل الإنسانى قوة خارقة ، تستطيع أن تسيطر على كل شىء ، وتسخره للإنسان .

وأن الذين لا يفهمون دينهم ، يقولون قولا منكرا وزورا ... حين يزعمون أن النصوص تمنع من غزو الفضاء ، وغزو القمر ، وغزو الأجرام .

هم يسجلون على أنفسهم أنهم جهلاء بدينهم ، وجهلاء بدنياهم ، وأنهم شر على أنفسهم ، وشر على الناس .

يقول هؤلاء الجاهلون إن الله يقول : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .

وهم يستدلون من تلك الآيات ، على أن غزو الفضاء ممتنع ، وأن هناك حوائل وموانع !! .

والآيات من زعمهم براء ، ومن جهلهم فى غناء .

ونسى هؤلاء ، وهؤلاء أن كتاب الله يعلن فى قوة أن ما فى السموات وما فى الأرض مسخر للإنسان ، وأن آياته تعلن فى أكثر من موضع تلك الحقيقة .

ونسى هؤلاء المضلون ، أن كتاب الله ينادى بالحجر على الشهوات ، ليخلى الطريق للعقليات ، وينادى بتحطيم الأهواء ، ليعمل العقل فى صفاء .

نسوا كل هذا ، وراحوا يدعون على الناس تلك السخافات ! .

وياويل المسلمين من أشباه العلماء ، الذين فرضوا عليهم فرضاً ، فضلوا وأضلوا .

إنى لأحيى جارين ، وأحيى تلك الأمة التى وقفت من ورائه تعمل وتعد حتى كانت تلك التجربة المذهلة .

إن الإسلام مظلوم بين أهله ، وهم يحملون ما ليس منه ويلصقون به ما يتنافر مع طبيعته .

الإسلام مظلوم بين تلك الأمم المتأخرة المتنافرة المظلمة ..

لقد طمسوه وطمسوا حقائقه ، وعاشوا على أوهام من ظلم أنفسهم ، زعموا أنها من الإسلام .

لقد جاء الإسلام ليحطم الأوثان ، ويكسر الأصنام ، ويقول للناس اعبدوا الله وحده ، واتجهوا لله رأسا ، ولكن كثيرا من المسلمين عادوا إلى الوسائط ، وتعلقوا بالشفاعات ، ورفضوا التوحيد الصحيح .

وجاء الإسلام ليحرر العقل من الأوهام ، ويدعو الناس للتفكير الحر الكريم .. ولكن المسلمين ناموا واستناموا ، وعاشوا عالة على من سواهم ، يتسولون فتات عملهم ويتبجحون بتراث غيرهم ..

ولو كان هناك إسلام صحيح بين المسلمين ، الألف سنة الماضية ، لكانت تلك الكشوفات صادرة من عقلنا .

ولكن المسلمين ناموا ، وطال رقادهم ، وما كان الله ليعطل الحياة البشرية ، حتى يستيقظ المسلمون ... كلا يستبدل قوما غيرنا ، أيا كان نوعهم ... ليدفعوا عجلة الحياة نحو التطور والتقدم .

وهذا ما كان وما سوف يكون ... ليس بين الله وبين أحد نسب ولا صهر ... الكل عباد الله ، ورحمته مبذولة للجميع ... والسماء والأرض مسخرة للجميع ، فمن جاهد وحاول ... وصل ... ومن نام وتكاسل لم يصل إلى شىء .

وترى المسلمون من جهلهم يتجادلون فى تفاهات ، ويتحزبون ويتفرقون شيعا وأضرابا ، من أجل تلك التفاهات .

فما زال من المسلمين من يبحث هل الحق كان مع على أو مع معاوية !! .

أى والله كأن الكون كله سينهدم إن لم تعرف الجواب على ذلك السؤال !.

وإنك لتسأل نفسك : وما جدوى هذا الأمر ؟ .

ولكن قوما تافهين فارغين ، لا يجدون ما يشغلهم ما زالوا حائرين فى تلك المسألة ! ! .

وما زال من المسلمين من يجادل : هل تجوز الصلاة والرأس عارية أم لا تجوز ؟! .

وهم يختلفون ويختلفون ... ويتباغضون . . من أجل تلك السخافات !! .

وما زال من المسلمين من يتجادل : هل يجوز التوسل بالموتى من الأولياء أو لا يجوز ؟ ! .

ويشق الناس فرقا فى ذلك الأمر ... ويشمئز الذين لا يؤمنون بالتوسل من الذين لا يتوسلون ويعتقدون أنهم مشركون ! .

ويشمئز كذلك الذين يؤمنون بالتوسل من الذين يسخرون به ، ويعتبرونهم قوما ضالين !

إى والله ... تجد هذا كله فى المسلمين ... وأكثر من هذا ... وما خفى أعظم .!

وما كان ذلك كذلك ، إلا حين غفلت الأمة عن حقيقة دينها ، وانصرفت عن اللباب إلى المظاهر .

فما كان الصدر الأول من الإسلام ليعرف مثل هذه السخافات ، ليغرق نفسه فى تلك الخرافات .

كانوا قوما يؤمنون بالله بساطة ... ليس كمثله شىء ... وكفى ... وحسبهم هذا ... يتذوقون الله بقلوبهم ... وللقلوب أحساس وفهم لا يحتاج إلى جدال ، أو نقاش .

وكانوا يؤمنون برسول الله عن حب ، لا عن قراءة ودراسة ونقاش .

وكان ذلك الحب يدفعهم إلى إتباع أمره ، واجتناب نهيه ... وكان هذا يبعدهم عن البحث والمجادلة ... وعن آفات الفارغين .

وكان من ثمار الايمان بالله فى بساطة ، والايمان برسوله فى براءة ، أن أينعت قلوبهم وآتت أكلها ، فتحا لأقطار الأرض ، وغزوا للعـــالم كله ، نشرا لكلمة لا إله إلا الله .

كانوا كذلك ... ثم جاء من بعدهم قوم فارغون ، حولوا الدين إلى كلام والله إلى أوهام ، والرسول إلى أبحاث .

والإسلام برىء مما يقولون ومما يفعلون .

يموت الرجل من المسلمين ، فيكون موته كارثة مالية محققه على أهله .

لماذا ؟ . لأن الناس يفهمون أنه لابد من السرادق الفخم ، والمقرىء المشهور والإخراج المتطور .

وما كان الموت أبدا على مثل هذه الصورة يوم كان هناك إسلام .

فما سمعنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقيم له السرادقات ، أو قرأ له المقرئون ، أو سهر له الساهرون .

ولكن المرتزقة يصنعون للناس فلسفات ، ضمانا لأرزاقهم ، وإدرار لمعاشهم !.

تلك الخرافات التى عششت وباضت وأفرخت فى رءوس المسلمين ... متى تزول ومتى تنتهى ... ومتى يقيض الله للمسلمين من يردهم إلى دينهم الصحيح النظيف ؟ !

متى يفكر المسلمون تفكير أسلافهم ، قلوبهم مع الله ، وعقولهم تسبح فى ملكوت السموات والأرض لغزوها فى سبيل الله ؟ .

لقد فتح المسلمون الأرض كلها فى أربعين سنة ، وهى سرعة مذهله لم يشهد لها التاريخ مثيلا ولن يشهد .

ذلك أن الاسلام دين العقل الحر ، حرر عقولهم من الأوهام ، فانطلقت تبدد ظلام الأرض ، وتنشر نور الحق .

ولو لم ينتكس المسلمون ، ويرجعون القهقرى إلى ظلمات الجهل والشرك ، لشهد العالم من إنتاجهم العجب العجاب .

ولكنهم أعرضوا فأعرض الله عنهم ، واستبدل قوما غيرهم . فقامت تلك الفتوحات العلمية الرائعة على أيدى قوم لايؤمنون بالله ، قوم لا يعترفون بوجود إله أصلا .

فكان هذا من الله ردا على المؤمنين الكسالى النائمين ، الذين تركوا العلم وذهبوا يبحثون فى أوهام .

ولن يعرد إلى المسلمين عزهم إلا إذا إعتزوا بعقولهم ، ولن تعود اليهم عقولهم إلا إذا حرروها من كل شيء نهاهم الله عنه .

وإذا كان الروس قد وصلوا إلى تلك العجائب ، فإن المسلمين يستطيعون أن يصلوا إلى ماهو أعجب .

فما هو الأعجب هذا ! .

الأعجب أنهم سيطلقون رجلا إلى الفضاء ، كما أطلق الروس رجلا إلى الفضاء .

إلا أن الرجل المسلم حين يطلقونه إلى الفضاء ، سينطلق مؤمنا بالله ، متوكلا على الله ، عارفا بالكون .

وهو هنا يفترق عن أخيه الروسى .

إن جاجارين ينظر إلى الأمور على أنها علم وإنتصار على الفضاء .

ولكن المسلم يوم الصحو ، ينظر إلى نفس الأمور على أنها علم وانتصار على الفضاء كذلك ، إلا أنه يضيف إلى ذلك ، إن الله هو الذى سخر للانسان كل هذا ، وإنه أعد لعباده الصالحين ، مايعتبر هذا ليس بشيء إلى جواره .

متى يفيق المسلمون ، متى يعلمون دينهم الحق ، متى يكفرون بعبادة أوهامهم ،

لقد كان النوم طويلا طويلا ، وسوف ندفع الثمن غاليا غاليا .

ولئن كان غزو الفضاء عملا عظيما صدر عن شعب كان إلى قرن واحد من الزمان متخلفا يسبح فى الأمية ، فإن غزو الفضاء يعلمنا أنه يمكن أن نفيق وأن نستيقظ وأن نعمل ونعمل لنلحق بالذين سبقونا بالعلم .

تحيتى إلى جاجارين ... ذلك الانسان العظيم .